

الوحدة 12:

نظريات التحليل الدلالي، النظرية السياقية.

توطئة.

ينسب السياق في الدراسات الغربية الحديثة إلى اللغوي الإنجليزي فيرث، فقد سعى الأخير إلى تأسيس نظرية حديثة في علم الدلالة، موجّها زاوية النظر إلى السياق، منبّها إلى الوظيفة الاجتماعية للغة، والسياق بأنواعه المختلفة. السياق هو الأساس في تحديد المعنى، ولأنّ مجاورة الوحدات اللغوية بعضها لبعض يُسهّم في تحديد المعاني، فقد نفى أصحاب فكرة السياق أن تكون للكلمات معانٍ خارج السياق.

أولاً: توجّهات النظرية السياقية في الدرس الدلالي الحديث.

أ/ السياق لغة واصطلاحاً.

للسياق في اللغة معانٍ كثيرة، ساق إليه الخير أرسله، وساق الحديث سرده¹، أمّا اصطلاحاً فهو بمعنى دراسة الكلمة داخل التركيب الذي ترد فيه، وذلك من خلال عملية التواصل بين المُلقّي والمتلقّي، عرّفه عبده الرّاجحي بالقول هو: "مجموع الظروف التي تحيط بالكلام." ² والسياق نوعان: سياق داخلي وهو السياق اللغوي المتعلّق بتركيب الجملة، وسياق خارجي تُحدّده معطيات كثيرة ويقصد به كل المواقف الخارجية التي يمكن أن يقع فيها الكلام، حيث تكتسب الكلمات معانٍ إضافية وثنائية مختلفة، بالإضافة إلى معانيها المعجمية المشتركة ثقافية وغيرها.

¹ الزمخشري، أساس البلاغة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ت ن 2006،

ص 314.

² عبد النعيم خليل، نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، ت ن 2007، ط 1، ص 82.

أ/ السياق اللغوي.

هو التركيب اللغوي الذي تقع فيه الكلمة موضع التحليل، فيتم تحديد المعنى من خلال إحدى الكلمات التي تسبق أو تتلو الكلمة، حيث توجه الكلمات المجاورة إلى سياق دون آخر، ويدخل المعجم والنحو والصرف في تحديد الدلالة.

ب/ سياق الموقف.

هو الظرف والوضع العام الذي يُؤدّي فيه الكلام، ويتحدّد بالمكان والزمان، مع ابتعاد الدلالة المعجمية والتركيبية، فيصر الموقف هو المتحكّم، فكأنّه تواضع جديد أملاه الموقف، من ذلك:

عبارة. " أحسنت " عبارة أصل الاستعمال لمن أحسن عملا.

. " أحسنت " لطالب دخل الحصّة متأخراً، بعد انقضاء وقت الدرس.

. " أحسنت " تقال تهكما لمن بالغ في الخروج عن الموضوع، أو لولد أخطأ في التعامل، وتكون مصحوبة بالأداء الصوتي المميّز.

السياق الثقافي.

يُسهم السياق الثقافي في توجيه الدلالة، وتعدّ عناصر المكانة الاجتماعية، والمهنة والتعليم والبيئة والمناخ الثقافي إجمالاً من أهم محدّدات هذا السياق، وذلك بما يوجي به من إمكانيات لمستعمل اللّغة، ويذهب المحدثون إلى ذكر سياقات عديدة ك:

السياق العاطفي.

هو الذي يتولّى الكشف عن الحالة العاطفية للمتكلّم، ويحدد درجة القوة والضعف في الانفعال، مما يقتضي تأكيداً أو مبالغة أو اعتدالاً، فكلمة يكره غير كلمة يبغض رغم اشتراكهما في أصل المعنى، واستعمال الكلمات يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالحالة النفسية للمتكلّم.

السياقين التاريخي والاجتماعي.

والغرض منه هو ربط اللفظ أو النص بسياقه التاريخي، وحدثه الذي وُلد فيه، أو قيل فيه.

ج/ رؤية فيرث رائد النظرية السياقية.

يعد جون روبرت فيرث رائد المدرسة السياقية التي نشأت في لندن، اعتمد "فيرث" مثل اللغويين الأمريكيين على عمل الأنثروبولوجيين وتفكيرهم، وتأثر خصوصاً بالأنثروبولوجي "مالينوفسكي" الذي واجه مشاكل في ترجمة اللغات القديمة، ووجد أنّ من الضروري وضع الكلمات في السياق داخل العبارة الكاملة في موقفها؛ أي السياق من خلال الموقف... هذا الموقف الذي لا يجب أن ننظر إليه . برأي "مالينوفسكي" . على أساس أنّه غير متعلق بالتعبير اللغوي.

وينتقد "فيرث" المنطقيين والفلاسفة الذين يرون أنّ الكلمات والعبارات لها وظيفة في ذاتها منفصلة السياق، فيقول: "اعتقد أنّ الأصوات لا ينبغي أن تكون مفصلة نهائياً عن النظام الاجتماعي الذي توجد فيه، وهكذا فإنّ كلّ المستويات اللغوية الصوتية، والصرفية، والمعجمية، والدلالية في اللغات الحديثة يجب أن ينظر إليها على أساس أنّها نتاج سياق شامل من خلال الموقف".

واعتبر "فيرث" المعنى مجموعة مركبة من العلاقات الوظيفية داخل السياق، وهو يشبه المعنى وانتشاره عبر المستويات اللغوية المختلفة، بانتشار الضوء المركب من أطوال موجية مختلفة في موشور زجاجي.

لقد تأسست مبادئ هذه المدرسة على مفهوم السياق، فاللغة ليست مجرد إشارات واصطلاحات وأدلة، بل إنها الرصيد الثقافي والاجتماعي، الذي يعين على فهم المعاني ضمن مواقعها.

ثانياً: البعد السياقي عند علماء التراث.

تفطن علماء العربية لوظيفة السياق، منذ بدايات الدرس النحوي، حيث قسم سيبويه أنماط الجملة، وحدد ما يقع عليه الكلام في العربية، وذكر ثلاثة أنماط من التراكيب منها في باب الاستقامة " المستقيم الحسن، والمستقيم الكذب، والمستقيم القبيح." وفي باب الإحالة "المحال ، والمحال الكذب" ولا وجود لمحال حسن أو صحيح، لأن الكلام الذي يستحيل تركيبه لغوياً ليس بمقدورنا أن نصفه بالحسن أو القبح³.

تحدث القاعدة عما يجوز ولا يجوز تركيبه، وحتى يجوز التركيب ويُقبل الكلام لابد من صحة المعنى، مع زمن الكلام فعبارة "شريت ماء البحر غداً" لاتجوز ومنه فإن للزمن دور فاعل في تحديد المعنى، وهو سياق الحال لما له من دور في فهم مدلول الكلام.

لذلك فإن التركيب يضم جملة العناصر التي تنتظم الكلام، " ابتداء من الحرف وضبطه، ومروراً بالكلمة وهيئتها، وانتهاء بأخذها الموقع المناسب في تركيب الجملة."⁴

وتحدث الجرجاني عن السياق، فأعطاه الوظيفية الفاعلة اللائقة به فقال: "ليس كلامنا فيما يفهم من لفظتين مفردتين نحو قعد وجلس، ولكن فيما فهم من مجموع كلام ومجموع كلام آخر."⁵

أما الفقهاء والأصوليون فقد تبينوا أمر السياق من خلال بحث المقاصد، قال الإمام الزركشي عن الشيخ عز الدين بن عبد السلام (ت 660هـ): "السياق يرشد إلى تبين

³ ميشال زكريا ، بحوث ألسنية عربية ، ص13.

⁴ عرفة عبد المقصود عامر حسن، السياق في فكر سيبويه وعلاقته بالمكوّن التركيبي، شبكة الألوكة، https://www.alukah.net/books/files/book_5543/bookfile/alsiaq.pdf، ص13.

⁵ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص202.

المجملات وترجيح الاحتمالات وتقرير الواضحات، وكل ذلك بعرف الاستعمال، فكل صفة وقعت في سياق الذم كانت ذما وإن كانت مدحا بالوضع كقوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ الدخان، 46. وقال أيضا: "السياق مُبَيَّنٌّ للمجملات مُرْجَح لبعض الاحتمالات ومؤكد للواضحات... فليتنبه لهذا ولا يغلط فيه ويجب اعتبار ما دل عليه السياق والقرائن لأن بذلك يتبين مقصود الكلام

وذهب الإمام الشاطبي في الموافقات إلى إظهار دور السياق في تبين المعنى فقال: "كلام العرب على الإطلاق لابد فيه من اعتبار معنى المساق في دلالة الصيغ، وإلا صار ضحكة وهزأة، ألا ترى إلى قولهم: فلان أسد أو حمار، أو عظيم الرماد، أو جبان الكلب، وفلانة بعيدة مهوى القرط، وما لا ينحصر من الأمثلة لو اعتبر اللفظ بمجردده، لم يكن له معنى معقول، فما ظنك بكلام الله وكلام رسوله."

تجسّد السياق تطبيقا في القرآن الكريم وهو ما دفع علماء التفسير للخوض في قضية السياق لفظة حبل رغم أنها واحدة فالمعاني المقصودة تتحدّد من خلال سياقها. لفظة الحبل : هي في قوله تعالى: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا) سورة آل عمران، الآية 103. دلّت على القرآن

وفي قوله تعالى: (إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ) سورة آل عمران، الآية 112، دلّت على العهد.

وفي قوله تعالى: (وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ) من سورة ق، الآية 16، دلّت على اسم العضو.*

ما لاحظناه من تغيّر معاني الألفاظ من خلال الأمثلة القرآنية، يدفعنا إلى القول بفكرة " أن أي دالٍ من الدوال لا يؤدي وظيفته بوصفه صوتا له دلالته المباشرة على شيء أو معنى ما. بل بوصفه في جوهره مختلف عن غيره من الدوال. ومعنى هذا أن معاني الكلمات تتوقف.

المصادر. على مواقعها في الجمل واختلافها عن غيرها.⁶ ويطرح من جهة أخرى فكرة قدرة الألفاظ على توليد المعاني والدلالات.

المصادر.

1/ الزمخشري، أساس البلاغة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ت ن 2006، ص314.

2/ عبد النعيم خليل، نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، ت ن 2007، ط1، ص82.

3/ صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، م ط عالم المعرفة، الكويت، ت ط 1978، ص15.

4/ الاشتراك اللفظي في القرآن الكريم، بين النظرية والتطبيق، محمد نور الدين المنجد، دار الفكر المعاصر، دمشق سورية، ط1، ت ط 1999م.¹

5/ ميشال زكريا، بحوث ألسنية عربية، ص13.

6/ عرفة عبد المقصود عامر حسن، السياق في فكر سيبويه وعلاقته بالمكوّن التركيبي، شبكة الألوكة، <https://www.alukah.net/books/files/book5543/bookfile>

/alsiaq.pdf، ص13.

7/ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني.

8/ الشاطبي، الموافقات، ج3.

9/ الزركشي، البحر المحيط، ج8، 4.

⁶ صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، م ط عالم المعرفة، الكويت، ت ط 1978، ص15.

*تم استنباط المعاني السياقية الواردة في المفردات القرآنية في الآيات السابقة، باعتماد مؤلف الاشتراك اللفظي في القرآن الكريم، بين النظرية والتطبيق، محمد نور الدين المنجد، دار الفكر المعاصر، دمشق سورية، ط1، ت ط 1999م.